

فرح الله الشديد بالتوبة

التوبة من ناحية الإنسان جهاد ورجوع لله واعتراف بالخطية وندم وتعهد بعدم العودة إليها وشعور بعدم الاستحقاق **"اجعني كأحد أجراك"** (لو ١٥ : ١٩).

لكن توبة الإنسان في قلب الله تعني رجوع الابن الضال لحضنه، تعني فرحه ووقوعه على عنق الخاطيء وتقبيله . الله يحس أن الإنسان كان ميتًا بالخطية فعاش بالتوبة. ومن أجل هذا يركض الله ويقع على عنقه ويقبله، ويجد ويبعث عن الخروف الضال. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحًا (لو ١٥ : ٥)، ويفتش باجتهاد عن الدرهم المفقود وإذا وجده يدعو الجيران قائلاً: **"افرحن معي لأنني وجدت الدرهم الذي أضعته"** (لو ١٥ : ٩) فالسمااء تفرح (لو ١٥ : ٧) والملائكة تفرح (لو ١٥ : ١٠) والآب السماوي يقول **"فناكل ونفرح"** (لو ١٥ : ٢٣) وجميع من في البيت (الكنيسة والسمااء) ابتدأوا يفرحون (لو ١٥ : ٢٤) والآب

السماوي يقول "كان ينبغي أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش" (لو ١٥ : ٣٢).

التوبة أعظم مقدمة تفرح الله :

نحن بالتوبة نستعيد مكانتنا الأولى في حضن الآب و نرتفع على منكبي المسيح . ولكن ينبغي ألا ننسى النصيب الأعظم الذي يتمتع به الرب من توبتنا: إنه الفرح.. الفرح.. الفرح. لقد قدم الشهداء دماءهم، والنساك أتعابهم، وأنا اليوم ماذا أقدم للرب؟ إن التوبة والرجوع لله مقدمة رائعة تفرح قلبه . فهيا بنا يا أخي نُفرح قلب الآب ونتوب . هيا بنا نسعد قلب الله ونقدم له مقدمة رائعة جدًا تضاف إلى تقدمات الشهداء والقديسين.

هيا بنا نتوب كل يوم وكل لحظة ليكون الآب دائمًا فرحًا. نقف في الصلاة كتائبين، ونخدم كتائبين مقدمين ليسوع أعظم عطية. خرّوفًا يضعه على منكبيه أو أبنًا يقع على عنقه ويقبله.

الثالوث الأقدس يجد في البحث عن الضال:

الرب يسوع، محبة في الإنسان، تجسد وسار مشواراً طويلاً جداً (من السماء إلى الأرض) في البحث عن الخروف الضال، وصلب لأجله ومات وقام.. وعندما وجده وضعه على منكبيه.. ومع كل هذا فالخروف لا يدرك شيئاً عن أعماق حب الراعي.

أما الروح القدس فإنه يذهب وسط الأتربة إلى الأماكن القذرة وينير ويكشف عن الدرهم المفقود (أي أنا) وسط الزبالة. أما الآب فيجري ويقع على العنق ويقبل ويقدم العجل المسمن.

هذا هو عمل الثالوث في كل لحظة. الابن يبحث عنا دون أن ندري بعظم عمله، والروح القدس يفتش عنا في وسط الخطية، والآب ينتظر عودتنا ليعطينا قبلة.

هيا بنا نفرح الثالوث بتوبتنا فنفرح الروح القدس بعثوره علينا، والابن باستقرارنا في حضنه.

مثل الخروف الضال:

الخروف يوضح ناحية هامة في المثل. فهو يكشف عن عدم إدراكه لخطورة الضلال وأكل الحشائش السامة ويكشف عن جهله وعدم إدراكه للجهد المضني الذي يبذله الراعي من أجله. هذا حق يا إخوتي، فمن منا يدرك خطورة السم الذي نأخذه بضلالنا في العالم، ومن منا يدرك عمق العمل العظيم الذي صنعه الله لأجل خلاصي.

أنا كالخروف في ضعف الإدراك.. لا أفكر إلا في قليل من الحشائش للأكل حتى لو كانت سامة، بينما المسيح يجتاز الأشواك وأرجله تدمي، ويتسلق الجبال ويقتفي أثر خطواتي **"هوذا آت ظافراً على الجبال قافراً على التلال"** (نش ٢ : ٨). وبالرغم من تعب المسيح الكبير جداً في البحث عنا، فإنه عندما وجد الخروف وضعه على منكبيه من شدة فرحته.

إنه يريد أن يريحنا بكل طريقة، ورغم أنه هو المتعب والمجهد لكنه يحملنا على كتفه.

من هذا المثل نرى كيف يعاملنا الله رغم عدم إدراكنا. والقديس أغريغوريوس يقول: إن الجنس البشري مكانه على كتف المسيح لكي يكون فمه قريبًا من الجنب الإلهي المطعون بالحربة والذي يتفجر منه ماء الحياة.

مكان النفوس التائبة يا إخواني على كتف المسيح.
الخطية تحط من قيمة نفوسنا في أعيننا، ولكن الله يرفعنا من الحضيض لنكون على كتفه.

السيد المسيح يرصد خطواتي وأثر أقدامي أنا التائه. منذ طفولتي.. ثم دخولي المدرسة.. وتخرجي من الكلية.. أنا بأناكف واهرب شمال ويمين.. إن قصة حياتي مخزية ولكن بها شيء جميل وهو أن الرب يسوع كان يبحث عني ويقتفي أثر خطواتي حتى ينتشلي ويضعني في أعظم مكان.. على كتفه.

مثل الدرهم المفقود:

المثل يكشف لنا عن سهولة التوبة رغم كثرة الخطية.

فالدراهم عبارة عن عملة ذهبية تحمل على أحد وجهيها صورة الملك. إن صورة الله قد طبعت في داخلنا لأننا خلقنا على صورة الله ولأننا نلنا الإنسان الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه (كو ٣ : ١٠). فرغم الخطية واختفاء الصورة لكن لا يمكن لهذه الصورة أن تزول. فالتوبة هنا يحددها أولاً وجود صورة الله في حياتنا. ثانياً عملية الكنس التي تقوم بها الكنيسة باستمرار. ثالثاً المصباح (الذي هو الروح القدس) الذي يلقي ضوءه. وفي اللحظة التي يتم فيها إزالة الأوساخ عن العملة تسقط أشعة المصباح (الروح القدس) عليها فيصدر منها (من الإنسان التائب) بريق جميل يعكس صورة الله. فالذي يفرحنا جداً أن صورة الملك لن تزول وإن بداخلنا مجد عظيم جداً. وهذا سر الجاذبية الموجودة فينا التي تجذب الله إلينا. إنها صورته. إن الكنيسة الغنية إنما هي كنيسة غنية بأعمال التوبة... لأن في كل مرة تزيح التراب عن أولادها يظهر جمال بريقهم تحت أشعة الروح القدس.

مثل الابن الضال:

هذا المثل يوضح لنا أن التوبة هي رجوع لحضن الآب لذلك عندما نريد أن نفهم التوبة في الكنيسة الأرثوذكسية لابد أن نرجع إلى المعمودية حيث صرنا أولادًا لله. وهذا المثل يوضح لنا أن سبب خروج الابن عن طاعة أبيه هو إحساسه بعدم الحرية. بيت الآب فيه قيود، الكنيسة فيها قيود، وصية الإنجيل فيها قيود. هذه القيود في الواقع هي قيود محبة الآب، لأنه يخاف علينا من الكورة البعيدة، من الجوع والبهذلة ثم الموت.

الابن ذهب لكورة بعيدة لينفك من القيود. فالبعد عن الله وعد بالحرية ولكنه عبودية في العالم، عبودية في السهر، عبودية في الشهوة، هروب من المسئولية.. حياة كالحيوان.. إنسان ميت، بلا شعور نحو آلام أبيه. والرب يسوع هو الحياة ومن يبعد عنه يصبح ميتًا.

حضن الآب وقبلاته:

١- "فتحن وركض" (لو ١٥ : ٢٠).

الله يركض!!! الله يجري ورائي "طافراً على الجبال قافراً
على التلال" (نش ٢ : ٨). الله يستجدي رجوعي!!!.

"واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى" (نش ٢ : ٩).
حائط الخطية. الذي صنعته بنفسى. الله يصنع فيه كوة
لكي يراني.

"افتحي لي يا حبيبتى لأن رأسي امتلأت من الطل
وقصصي من ندى الليل.. فأنت أحشائي عليّ".

ربى لك المجد.. إن أحشائي تئن عليّ من أجل جريك
ورائى بكل الطرق وقرعك على بابي منتظراً أن أفتح لك.
ربى إن أحشائي لا تحمل كل هذا. إنها تئن عليّ.

٢- "ليقبلني بقبلات فمه" (نش ١ : ٢).

كثيراً ما نتكلم عن المرأة التي قبلت قدمي المخلص،
وقبلات القديسين لصليب الرب. لكننا اليوم أمام قبلات
الآب للإنسان الخاطئ التائب.

إن قبلات الآب حكر على الإنسان التائب، الآب يقبلني!!
لك المجد يارب! وكيف الحصول على هذه القبلات؟
الطريق الوحيد هو التوبة.. أقوم وأرجع لأبي ليقبلني بقبلات
فمه. من أجل ذلك كانت هذه هي افتتاحية سفر النشيد.
سفر التوبة في حضن الآب، في حجال الملك.

٣- "شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني" (نش ٢ : ٦)

ووقع الآب على عنقه وقبله. إن يدي الآب قد حاصرت
الابن. إن الابن لا يقدر أن يفلت منها لأن محبة الآب
تحصره. التوبة هي الصنارة التي يوقعنا بها الآب في دائرة
محبه، وحضن الآب حكر على النفوس التائبة. من أجل
ذلك عندما أحس القديسون بأن التوبة هي الطريق لحضن
الآب عاشوا طول حياتهم في التوبة.

٤- والخطية جوع ونزف دم وقذارة وموت.

لذلك يقدم الله لنفسي التائبة وليمة العجل المسمن،
ويعوض الدم النازف مني بدمه المحيي، ويغسل وسخ
أقدامي بيديه وينشفها بالمنشفة. هذا ما يقدمه الله لي

عندما أتوب.. ينسل أوساخي ويقدم لي جسده المذبوح على المذبح ودمه تعويضًا لدم حياتي الفاسد. أما حكم الموت فقد أتمه عني بالصليب.

٥- **"أريني وجهك أسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف"**
(نش ٢ : ١٤).

هذا ما تطلبه مني يا يسوع عند توبتي. الصلاة = صوتي اللطيف. ربي أنت تتلذذ بصلاتي.. أنا أبخل بها عليك.

٦- ليس هناك كلمة عتاب واحدة.

الابن تخيل عقاب الآب ولكن الآب ليس عنده عقاب بل توجيه وتعليم.. عنده قبلات وحضن. لم يأت هناك أي مواجهة وعتاب بين الآب والابن.

ولكن أين تمت المواجهة؟ لقد تمت بين الولد ونفسه **"ورجع إلى نفسه"**. الإنسان التائب يواجه نفسه بشدة قبل أن يرجع إلى أبيه، ويوبخها ويقول: الله مات لأجلي وأنا أبذر أمواله بعيش مسرف.. ينبغي أن أتوب بسرعة. نفسي أفرح قلب المسيح الذي شرب كأس الموت عني. اشتهى

أن أفرح قلب ربي هذا اليوم لأن توبتي أنا الحقير تفرح قلب المسيح. الآب تعبان وأنا بعيد عنه، أقوم وأرجع إلى أبي وأفرحه.. وأحول بيته إلى مكان للرقص والفرح.. أني أريد أن أسمعه صوتي في الصلاة فيتلذذ به. أريد أن أفرح الآب والابن والروح القدس.. السماء.. والملائكة والقديسين...

ربي يسوع سأعيش بنعمتك كل أيام حياتي في التوبة لكي أعيش دائمًا في حضنك وأفرح قلبك بي.

ربي يسوع سأخدم في كنيستك وأسعى لرجوع الآخرين لأفرح قلبك برجوعهم إليك. آمين.

أين ومتى نصل إلى حضن الآب؟

إنسان اليوم يعيش في ضجيج مستمر، لا يسمع طول اليوم إلا صوت الناس، وحتى في اجتماعاتنا الدينية غالبًا ما يسمع الناس يتحدثون عن الله - أما هذا الإنسان نفسه فلم يتعلم بعد كيف يتحدث مع الله. روح الله في أعماق النفس، والدخول لأعماق النفس يعني الاختلاء والاختلاء

ليس عمل سلبي بقدر ما هو إيجابي يكتشف فيه الإنسان أنه شقى وبائس وفقير وأعمى وعريان (رؤ ٣ : ٧)، وفي ذات الوقت يكتشف وجود الله ماسح الدموع وحامل الخطايا وصاحب القبلات الطاهرة.

هذا هو طريق القديسين:

+ موسى استلم لوحى الشريعة بعد اختلاء مع الله . ٤
يومًا.

+ إيليا سمع صوت الله في خلوته.

+ بولس الرسول بدأ خدمته بالانطلاق للصحراء العربية
(غل ١ : ١٧).

+ الرب يسوع أوصانا بالدخول للمخدع وغلق الباب
(الاختلاء معه).

+ وكان الرب يعلمنا فيمضى الليل كله في الصلاة -
ويذهب إلى موضع خلاء...

+ القديسون سكنوا الجبال والبراري ليختلوا بالله.

والآن يا أخي هل لك أن تعزم بأن يكون لك وقت ما في النهار، ربما في مخدعك، ربما في كنيسة ما بعيدة وهادئة، ربما في موضع خلاء. وأن تعزم أن يكون لك فترة خلاء كل أسبوع. أو كل شهر في مكان بعيد عن ضوضاء العالم..

اسرع إلى ذلك قبل أن يجرك العالم في دوامته وتصبح عبدًا له، أسرع لكي ما تبني شخصيتك بكثرة وجودك مع الله واكتشاف ضعفاتك وزيادة حبك للذي مات عنك.

مع يسوع وحده:

في الخلوة اجلس مع يسوع وحده عند أقدام صليبه، حيث الدم يجري، وحيث الحب يتدفق، وحيث الأذرع الأبدية مفتوحة، وحيث الألم، وحيث السرور والفرح...

أحذر أن تتوه في تأملات روحية عن يسوع وتنسى التحدث مع يسوع.

إن طريق التأمل في خطاياك - في أعماق نفسك، هو وحده الطريق للقاءك مع يسوع غاسل خطاياك، وفتح أحضانه ولك.

الخلوة مع يسوع وحده هي الارتفاع عن العالم كله، على جبل التجلي، هي الانفراد معه هناك... هي اكتشاف مجد الرب في حياتك.

الإنجيل وكلمات الرب يسوع، ومعاملاته للبشر وحبه لهم في العهد القديم، وأسرار معاملته للنفس البشرية في سفر النشيد، كلها إمكانيات جبارة للحديث مع الرب.

أما في وسط الكنيسة فيمكن تركيز الحديث مع الرب المذبوح لأجلك على المذبح دون الاهتمام بكل ما يجرى في الكنيسة لقد كان القديس أرسانيوس يقف وراء عمود في الكنيسة طول الصلاة، ومازال العمود حاملاً اسمه لليوم.

والخلوة أولاً وأخيراً، هي حديث مع يسوع وحده.

والخلوة هدفها:

الدخول لأعماق النفس واكتشاف ضعف طبيعتها وكثرة خطاياها ومراوغتها، ثم استعلان وجود الله فيها وحبه وقبلاته وأحضانها.

ربى يسوع:

أعط يارب كل إنسان في الكنيسة شيخ أو شاب أو طفل
أن يتحدث معك ويختلى بك ويحبك ويتمتع بقبلاتك
ويتطهر بدمك ويستعلن قوتك في حياته.

أعط يارب الكنيسة وخدامها أن ينسكبوا بالصلاة
والصوم ليستعلن كل واحد فيها وجود الله - أعظم قوة -
في حياته . آمين.